القصص

ترجمة صوفي اسحاقوسي

٢ ـ المتضرعات

The Suppliant Women

للأستاذ دريني خشبه

— ٧ —

وصمت الأب دانوس ، وغمرت الفتيات موجة أثيرية من الفرح ، وتقدمن نحو الآلهة يصلين ويهزجن ، وينظمن الشكران عقودا من جمان دموعهن فيجعلنه قلائد على جيد آرجوس ، ويدعون للملك بالمجد ، ولمدينته الخالدة بالنصر والعز والتأييد

وما يكدن يفرغن من صلاتهن وانشادهن ، حتى يثب أبوهن الشيخ المنهالك وثبة قوية ... ويقف على شرف من حرم الآلهة المقدس ، ثم يرسل فى اليم المضطرب نظرات حائرة من عينيه الغائرتين ... كمن ينظر فى كتاب الغيب ! !

— يالهول ! أصمتن يافتيات ... أصمتن ! إن الزمن يسوق الينا أحداثه فوق أعراف الثبج ... أنظرن ! ؟ إنها تقترب منا رويدا رويدا ! واحربا يا بناتى البائسات ؟ ! سفينة مصرية لا ريب فى ذلك ! آه ! إنها من سفائن اللعين إيجبتوس ! لاشك ! لا شك ! ها هى ذى قلاعها وشراعها ! كابية كوجهه ، كاسفة كقلبه ... وى ! لقد طوى اللاحون الشراع ، وأعملوا سواعدهم فى المجاديف ! إنها ما تفتأ تقترب ! ولكن ! لا عليكن يافتيات ! لا عليكن أبدا ! إن لكن من هؤلاء الآلهة ذادة ، وإن لكن منهم حماة أبية ! ويل لمن يستهزئ بأرباب الأوآب وأى ويل ؟ إن له لساعة تشيب من هولها النواصى ! لقد قدم الأوغاد يطلبونكن لمتعة الوحوش الذين لا يخشون الآلهة ولا يرعون حدود السماء ... لا .. لن يكون هذا أبدا ... »

فترتعد فرائص الفتيات ، وتقول كبراهن :

— « أبتاه ! إنا لنذوب من فرق يا أبتاه ! يا للفزع الأكبر ! ماذا أفاد سفرنا الطويل ، وغربتنا النازحة ؟ لطالما انتعلنا الدماء ، وضربنا غوارب الماء لنكون بنجوة ، فأين النجاء ! أبتاه ! إنا نذوب من فرق ... »

— « لتطمئن قلوبكن يا بناتى ، فلقد صمم الأرجيف البواسل أن يحاربوا إلى آخر قطرة من دمائهم من أجل قضيتكن ... إهدأن ! اهدأن فهذه الآلهة تحميكن ! »

— « وهل يصير الأرجيف المترفون على شياطين ايجبتوس يا أبتاه ؟ انظر ! لقد جمعوا اللاذم من محاربى مصر .... فمن لنا ! من لنا ! ؟ »

— « إنكن لن تلبثن أن ترين الأبطال المقرنين فى الحديد المقنعين فى الزرد ، فلا تهلعن ! »

— « ولكن ... لتقف معنا يا أبتاه ! لا تتركنا ! فنحن أضعف من أن نشهد المعركة ! إن هؤلاء القادمين فى السفينة الغبراء وحوش يحملون قلوباً خرساء ... ولن يثنيهم أن يشهدوا هذه الآلهة ، إذ هم ضوارى ليبيا ، لا يعرفون قربانا ولا مذبحا ولا شريعة ، ولا يرهبون آلهة ولا يوقرون أوثانا ! »

(يهم دانوس أن يغادر بناته ، فتقول كبراهن :)

— « أبتاه ! الى أين ؟ لن تغادرنا ... لن تغادرنا يا أبتاه »

— « تلبثن يا فتيات ولا ترهبن شيئاً ! إنهم لا بد لهم من وقت طويل حتى ترسو سفينتهم ، وينزلوا الى البر ويربطوا أمراسها فى صخرة أو جذع ... وقد لا يجدون مرفأ هنا فيقلعون الى مكان بعيد ... اهدأن ... لا تفزعن هكذا ! ما هذا الفرق ! تلبثن هنا حتى أعود بجيش الأرجيف أو بعدد من پيلاسجوس ! لقد وعد ! لقد وعد أن يحمينا ، وأيده الشعب كله فى ذلك ..... تلبثن ..... لا تفزعن ..... ولا تذهب قلوبكن شعاعا ! »

(يخرج دانوس)

— ٨ —

وتهلع الفتيات ويتفزعن ، ويتضرعن الى الآلهة أن تنقذهن من ذلك البلاء المنتظر ، ويرسلن أنشودة طويلة حزينة ...

والسفينة تقترب !

وهى كلما اقتربت وجفت نفوسهن ، وخفقت قلوبهن ، وتبلبلت أفكارهن ، وتعلقن بالدمى المرمرية التى ... تثلجت حتى ماتمس ... وتحجرت حتى ماتمى ...

وغابت السفينة عن الأنظار فجأة .. ولكنها غابت لترسو ..

وطفق الفتيات يهزجن ... ويصلين ... ويبكين ...

— ٩ —

(يدخل القائد المصرى)

— « سو ... ش ... اصمتن يا فتيات ! حذار ألا تطعن ! هلم الى سيف البحر ، فاركبن فى السفينة معنا ! أسرعن ! لا تقاومن ، وإلا حملناكن بالقوة ! أسرعن ، وى ! أنتن لا تتحركن ! أسرعن يافتيات ! إن لم تسرعن فستحل بكن نقمة ! سنشدكن من شعوركن ونجركن على الثرى والأحجار حتى تدمى جسومكن ؛ الى البحر ... الى البحر ! »

(وينقض الجنود فيداعبون الفتيات فتقول كبراهن :)

— « ويل لكم أيها الضوارى وويل لأميركم ! ليت هذا الخضم ابتلعكم قبل أن تصلوا إلى هنا ! »

— « أنصح لكم يا فتيات ألا تقاومن ! إنكن ضعيفات ، وللقوة أن تصنع ماتشاء بكن ! دعن هذه المجالس حول هذه الآلهة التى لابد أنها تسخر منكن ! ستحملكن السفينة إلى أوطانكن فالحذار من المقاومة ! »

— « كلا ! لن نعود إلى جنة الأرض وجحيم القلوب ! الفردوس الذى يفيض كل سنة دماً يصهر العاطفة ويحرق الضلوع ... ... »

— « وبعد ، إننى مرغم إذن على استعمال القوة المطلقة التى يخوليها الأمر الذى بيدى ! سأنزعكن من مقاعدكن فى هذا الحرم ! سنجركن من شعوركن وخمركن ، ونبحر بكن برغمكن ! »

— « أنت تهرف كأن عيون السماء مغمضة عنك ! كأنك إذا كنت وسط اللجة لم تخش شيئاً ! أيها الكافر بالآلهة ! »

— « ولولن ماشئتن ! إدعين آلهتكن ، وسنرى هل تشرع لمعونتكن !! أبداً لن تهربن من يدى ايجيتوس أبدا ! إنه كالهواء مدركنكن أنى وُجهتن ! فولولن واصخبن ! وأعولن وابكين تعاستكن ! »

— « ثم ماذا ؟ زدنا من وقاحتك يا ابن النيل ! بذاء ! أيها المسخ ! يا رديب التماسيح ! ليتها تطعمت بك ، أو خلت ثنايا بلحمك قبل أن تجيء إلى هنا ! »

— « سو ... ش ... كفى ! حسبكن صراخاً ! إن لم ترضخن ... فشعوركن تحكم بيننا وبينكن ! سنجركن منها إلى السفينة يافتيات ! »

(يهم الجند أن يجروهن !)

— « أبانا ! أين أنت يا أبانا ! الغوث الغوث ! هذه العناكب المتلظظة ! يا أمنا الأرض ! يا أبانا زيوس ! عونك يا آلهة ! يا سيد الأولمب ! نحن حفيدات يو !! أدركنا ! إدفع عنا هذه الضوارى ! »

— « عبثاً تستصرخن آلهتكن يا فتيات ؟ هى ليست لنا بآلهة ! فنحن لا نرهبها ولا نخشاها ! إنها لم تنشئنا ، ولم تخلط بقلوبنا ... نحن لا نباليها ! »

(يجرها من شعورها)

— ويلك أيها اللئيم ! يا أفعوان النيل ذا الأنياب ! أغرب فلست أفنى مثلك أيها الأرقم ! العون العون يا سيد الأولمب ! زيوس يا أبى ! أدركنى أستلحلمك بأمك ربة هذه الأرض ! »

— « أسرعن إلى السفينة إذن ! وإلا ! فستندك عظامكن فوق هذه الآطام ! أطعن يا فتيات فهو خير لكن ! »

— « يا سادة آرجوس ! أدركننا يا أرجيف ! أيها الأوفياء ! »

— « بل سادة مصر ! أبناء ايجيتوس الكرماء ستلقينهم وشيكا ياعذارى ! »

« يا ملك آرجوس الكريم ! الغوث ! لقد وعدتنا ! بيلاسجوس ! »

— « طالما تأبين ، فشعوركن تطيعنا ، وهى أطوع لنا منكن ! »

(يجرونهن على الحجارة بشدة فيدخل الملك)

— ١٠ —

— « وَىْ ! من أولاء ! من الجاثمون خلال مملكة بيلاسجوس ، العائثون فى جنبات آرجوس ، غير البالين بحرم الأرباب ! من أنتم يا هؤلاء ؟ هل هانت عليكم آرجوس فأنتم

تأدبكون ... سها غير هيابين ! مالكم ولأولئك النسوة ! ... ركون ألسنتكم بالفحش ، وتسلقونهن بالهُجْر ! ؟ سالك لعدالة تحميهن أيها الحق ! »

— « أى هجر وأى فحش ، ماذا صنعنا بهن ! »

يا للآلهة ؟ أنت أجنبي وقد نزلت بلاداً غير بلادك ، فكيف ضللت سبيل الحسنى ؟ ! »

— « أجل : ولكنني أجنبي قد عثر بضالته المنشودة ، ورجيته المفقودة

— « وأية قوة هنا تملك ، فتسندك ! »

— « أنا أحتكم إلى هرمز ، حامى الغرباء ! »

— هرمز ؟ ! أمرك عجب وحق هرمز ؟ لقد دنست حرم الآلهة جميعا ! »

— « بل أنا أدين للنيل ... حابى ! ... [1] وأعبد آلهة النيل ! »

— « إذن فلا اعتبار لآلهة آرجوس عندك ؟ »

— « اذا كان منها ما يحول بينى وبين ضالتى ... والا ... فسأمضى بصيدى »

— « ارفع يدك عن الفتيات ... والا ... فسرعان ما تندم ولات حين مندم »

— « كأنى بك تشيع الكرم فى عباراتك ! »

— « لا كرامة ولا بشاشة لمن دنس الحرم المقدس ! »

— « قل ما شئت ، فالجلة الأسراء من أبناء ايجبتوس ... آ ... أجل ... سأذكر لهم كل شىء »

— « لا يعنينى أن تنقل اليهم أى حديث منى ! »

— « عجبا ! وكيف ؟ إذن نبئنى ماذا أقول له كرسول منه اليك ! يبدو لى أن مارس [2] وحده سيحكم بيننا وبينك ، وعندها ، يعرفنا أينا من يندم ولات حين مندم ! هؤلاء بنات عمهن ، وقد جئت من أجلهن ، فكيف أعود بدونهن ! لم تسمح للغضب أن يروى دماءنا ! يا للأرواح البريئة ! ثم . من أنت ؟ »

— « غداً تعرف من أنا ، أنت والعصبة من رفاقك ! ولكن ... لن نسمح لك أن يصطحبك أولئك الفتيات إلا إذا رضين هن ذلك ... فلن يذهبن معك برغمهن ... إن مملكتنا كلها تؤيدهن وتؤازر حقهن ، ولن تسلمهن لقوة مهما عتت أو لجبروت مهما طغى ! إن لنا لقانوناً أقدس ، لم ينقش فى صخر ، ولم يسطر فى بردى ، فاسمه من فمى ، واغرب من أمامى ! »

— « وىْ ! لقد ضمنت كلماتك اعلان الحرب علينا فمن لك برجال يضمنون لك النصر ؟ ! »

— « غداً يملأ الرجال السهل والجبل وشطئان هذا الخضم رجال ... مذاويد ... لم ينسوا أفواههم بجمة الشعير ولا بنبيذ الثمر ... أغرب يا أحمق ! » [1]

(ينسحب المصريون)

— ١١ —

« وأما أنتن يا عذارى فلا ترهبن شيئاً فى الوجود ما دمتن معنا وبين ظهرانينا ! إن آرجوليس كلها ستحميكن وستكافح عنكن ، فهلم الى قلعتها العتيدة ، إن لكل مكن فيها حصنا أمنع من النجم ، وآمن من السماء ! فَقَرْن فى غرفاتكن ثمة ، فهى أخلق بكن ، وأطيب إلى نفوسكن ، وأرْوَح عليكن ... على الرحب والسعة يا عذارى ! إنى وشعبى نفتديكن ، فقرن عينا وطبن نفسا ... »

— « بوركت يا خدن الأرباب ، جزاك سيد الأرباب عنا خيرا ، وكتب لك ولملكتك السلامة ، وجملك وجملها بنجوة من غدرات الأيام ، وبدوات الزمان ! ... أيها الملك ! لقد غمرنا احسانك فنحن ندين لك بهذه الأرواح المفزعة ، والنفوس المروعة ، التى أذهبت عنها الشجو وجلوت ما بها من حزن ! أبانا أيها الملك ! إنه رجل شيخ حطمته الآلام ، وغامت على صدره الخطوب ... إيذن له يصحبنا الى منازلنا ، ويهيىء لنا جوارنا ، ويتخير لنا أولياءنا ذلك أدنى الا يأسى أو يحزن ! (ويوجهن القول الى وصيفات الملك) أما أنتن أيها الوصيفات فرشدْننا إلى حيث يدلكن أبونا ... وابشرن ! فسيهب كلا منكن أمةَ جزاء ما خدمتنا وسهرتن علينا »

— ١٢ —

(يدخل دانوس)

— « أحمدن الملك ، وصلين للآلهة يابناتى ! القرابين والضحيات الخر ، إنا ندين للأراجيف البواسل بأرواحنا ما فى ذلك من شك ، فقربن لآلهتهن القرابين ، وقدّمن الضحيات ! الثناء لهذا الملك الكريم يا فتيات ، فلقد أنقذنا من الذبح ونجانا من الفضيحة ... حمداً له ، حمداً له وشكراً ! !

(١) إله النيل (٢) إله الحرب

(١) هذا حديث يدل على ما كان لمصر من ذكر وصولة فى هذا الزمان !!